منهج القرآن في التعريف بالله تعالى[1]

أ.أمامة بنت إبراهيم بن محمد الأمين

باحثة ماجستير في العقيدة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى - مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

s43980080@st.uqu.edu.sa

The Holy Qur'an's approach to introducing Allah

Ms. Umamah bint Ibrahim Mohammed AlAmin

An AM Students of Doctrine, Faculty of Da'wah and Foundations of Religion, Umm Al-Qura University – Mecca, Saudi Arabia

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى بيان أهمية معرفة الله، وذكر أسبابها، وعرض موانعها، ثم بيان طريق القرآن في التعريف بالله، من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله وما تقتضيه من الآثار، وقد استخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي في دراسة البحث، وتوصلت إلى:

أن هناك سياقان للقرآن في التعريف بالله تعالى: تعريف ثم تكليف، أو تكليف بدلالة التعريف، وأن لأسماء الله وصفاته آثار على الكون والعبودية، فمن عرف معانيها وشاهد آثارها فإن لذلك آثاراً على كمال عبوديته وآثاراً على حسن سلوكه وأخلاقه.

الكلمات المفتاحية: منهج، القرآن، المعرفة، المعرفة بالله، منهج القرآن.

Abstract:

This article aims to identify the importance of knowing Allah, its reasons, obstacles, and the Holy Qur'an's approach to knowing Allah through His Names, Attributes, Actions, and the effects they entail. The study employs the analytical inductive approach. It concludes that there are two contexts in the Holy Qur'an to know Allah i) introducing and assigning, or ii) assigning based on introducing Allah's Names and Attributes, which have effects on the universe and worship. These meanings and effects have their impact on the perfection of Man's worship, good behavior and morals.

Keywords Approach, the Holy Qur'an, knowledge, knowing Allah, the Holy Qur'an's approach.

[1] تاريخ الاستلام: ٧ / ١١ / ٢٠٢٣، تاريخ القبول: ٠٢ / ١٢ / ٢٠٢٣

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أنْ لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإنّ الله تعالى خلق الخلق، وهيأهم بالمدركات العقلية؛ لغايات عظيمة، ومقاصد جليلة، ومن تلك المقاصد: أن يعرفوه ويعبدوه، كما قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] كما ذهب بعض أهل العلم في تفسيرها: يعرفونه[١]، فإذا عرفوه عبدوه، وحاجة الإنسان إلى معرفة ربه ومعبوده أكثر من حاجته إلى طعامه وشرابه، وقد جاءت الأدلة للتعريف به من أوجه كثيرة ومتنوعة، ما بين شرعية وكونية، وما يندرج تحتهما من أدلة معرفته، ومستند تلك الأدلة جميعًا هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد ارتأيت أن أبحث في منهجية القرآن الكريم في التعريف بالله تعالى، فكان البحث بعنوان: **(منهج القرآن في التعريف بالله تعالى)**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. البحث في معرفة الله تعالى من الأمور المعمقة للإيمان لدى الباحث والمطلع، ومنهج القرآن في التعريف بالله تعالى ينطلق من كون المعرِّف والمتحدث عن الله هو ذاته، فهو سبحانه يُعَرف بنفسه وصفاته، وهذا البحث يبحث في تعريف الله لنفسه بكلامه ووحيه المنزل على رسول الله، لذلك تتوقع الباحثة أن يكون البحث لبنة إيجابية في علم التوحيد؛ كونه يستدل من كلام المتحدث عن نفسه، وسيمثل مصدرًا مهمًا قابلًا للتطبيق في حياة الناس، ومرجعًا علميًا مؤصلًا في باب المعرفة بالله تعالى.

٢. ما يتعلق بالأجور المترتبة على بعض الأذكار، أو فضائل السور والآيات بعضها على بعض، فبعد التأمل تجد سبب الفضل يرجع إلى ما فيها من الخبر عن الله تعالى، مما يؤكد أهمية هذا العلم وكبير منزلته وجليل فضله وعظيم شأنه.

٣. الإرشاد إلى أن تحقيق كمال العبودية يستلزم كمال المعرفة؛ لاستحالة العبادة من غير معرفة.

أسئلة البحث:

١. ما أهمية معرفة الله تعالى؟ وما أسباب معرفة العبد لربه؟

٢. ما منهج القرآن في التعريف بالله تعالى؟

٣. ما هي موانع المعرفة؟ وما الآثار المترتبة على هذه المعرفة؟

أهداف البحث:

١. عرض منهج القرآن، وما تميز به عن غيره من الكتب في التعريف بالله تعالى.

٢. بيان أهمية موضوع المعرفة عن الله سبحانه، وما يترتب عليها من تحقيق أهم الغايات، وأعظم المطالب من وجود الخلق، وهي عبودية الله وحده.

٣. تعميق المعاني الإيمانية المتعلقة بمعرفة الله تعالى، والحث على تفعيل حقائقها والعمل بمقتضى مدلولاتها.

الدراسات السابقة:

لم أجد –فيما أعلم بعد البحث والتقصي– دراسة تخصصت في الحديث عن منهج القرآن في التعريف بالله تعالى، وما يتعلق بها من حيث الأهمية والأسباب والموانع ومسائل أخرى، ومن الدراسات العامة التي قد تربطها صلة غير مباشرة بموضوع البحث، ما يلي:

١. منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، للباحث: علي بن محمد فقيهي، وهي رسالة ماجستير من جامعة الملك عبد العزيز لعام ١٣٩٣–١٣٩٤هـ.

وقد اشتملت هذه الرسالة على ستة فصول، الفصل الأول: كان عن تعريف المنهج وبيان أنواعه في عرف العلماء، وفي الفصل الثاني: بين حقيقة الإيمان وذكر أركانه إجمالا. أما الفصل الثالث: فقد عقده؛ لبيان مسالك القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى، ثم عقد مقارنة في بيان مسلك القرآن ومسلك كل من المتكلمين والفلاسفة. وأما الفصل الرابع: فكان في بيان مسلك القرآن في إثبات النبوة. وفي الفصل الخامس: بين مسالك القرآن في إثبات البعث، وأما الفصل السادس والأخير: فقد أفرده لبيان آراء العلماء في البعث، واستقى الأقوال في ذلك وناقش منها ما يستحق النقاش.

٢. منهج القرآن والعلم في إثبات الألوهية، الباحث: عبد الله بن عثمان الكوكي، وهي رسالة ماجستير من جامعة أم القرى لعام ١٤٠٤ – ١٤٠٥هـ.

قسم الباحث رسالته إلى خمسة أبواب، الباب الأول: تحدّث فيه عن وجود الله من خلال دليلين هما الفطرة، والنظر والاستدلال، وعرّج في الباب الثاني: على خصائص القرآن الذاتية في إثبات الألوهية من خلال الكلام عن مصدره وإعجازه، وإقرار القرآن للرسول عليه – الصلاة والسلام – وتوجيهه إلى ما يخالف اجتهاده، ومن ثم الإخبار بالغيب وانقطاع الوحي عن الرسول ﷺ، ثم بحث في الباب الثالث: منهجية القرآن في إثبات الألوهية، وأما الباب الرابع: فقد بين مفهوم الإلحاد وأنواعه، كما أنّه ذكر العلاقة بين الإلحاد والعقلانية، والإلحاد بين المسيحية والإسلام، ومن خلال الباب الخامس والأخير: أثبت أنّه لا تعارض بين

العلم والدين، ثم ختمه بذكر مقالة مترجمة لبعض العلماء الفلاسفة يقرون فيها بوجود الله ووحدانيته؛ لغرض دعوة المثقفين الغرب للإقرار بالخالق سبحانه.

ويلاحظ أن الدراستين خلت من: البحث في منهج القرآن في التعريف بالله تعالى، وما يتعلق بها من الكلام في أهميتها، أسبابها، مراتبها... وغير ذلك من المباحث التي نحن بصدد دراستها.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي: وذلك باستقراء السور والآيات، والتأمل في دلالات السياق، وتفاسير الآيات، ومراعاة قواعد اللغة العربية، والأساليب البلاغية وغيرها، وتحليلها لمحاولة التوصل إلى بيان طريقة القرآن في التعريف بالله تعالى.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة مرتبة على النحو الآتي:

المقدمة وفيها: أهداف البحث، وأهميته، وأسئلته، والمنهج، وخطة البحث.

المبحث الأول: معرفة الله تعالى، أهميتها، وأسبابها، وموانعها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية معرفة الله تعالى ومنزلتها في الدين.

المطلب الثاني: أسباب معرفة العبد لله تعالى.

المطلب الثالث: موانع المعرفة بالله تعالى.

المبحث الثاني: منهج القرآن في التعريف بالله تعالى من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالله من خلال سياقات وأفضلية ورود الأسماء والصفات والأفعال.

المطلب الثاني: اقتضاء الأسماء والصفات والأفعال لآثارها من الخلق والتكوين، والعبودية.

الخاتمة: وفيها عرض لأبرز النتائج وأهم التوصيات

المبحث الأول: معرفة الله تعالى أهميتها، وأسبابها:

المطلب الأول: أهمية معرفة الله ﷻ ومنزلتها في الدين:

إن أعظم ما يكون في أبواب العلم عمومًا؛ والإيمان بالله خصوصًا: باب المعرفة بالله ﷻ والتعريف به، فإن هذا من أعظم المطالب وأجلها، وأشرفها وأنبلها، فالمعرفة بالله لها ثمارها العظيمة، وآثارها المباركة في استقامة العبد على طاعة الله تعالى، وبعده عن مساخطه جل في علاه.

ولهذا كان من أكبر ما يكون في أعمال العبد حرصه ومجاهدته لنفسه على المعرفة بربه ﷻ والعلم به، (فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته

العقول)[٢]، وقد كان النبي ﷺ يقوم في أصحابه مقامات لا يتكلم فيها إلا عن هذا الباب –التعريف بالله ﷻ–؛ لأن هذا التعريف هو (غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية...)[٣]. ومن ذلك ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، قال: «**إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٤]، وقد وصف بعض الشرّاح أن هذا الحديث سيد الأحاديث كما أن آية الكرسي سيدة الآيات[٥]؛ لما تضمنه من المعاني والأسماء والأوصاف والأفعال المعرّفة بكماله وجلاله وجماله وكبريائه وعظمته، والداعية إلى الإقبال عليه، والتسليم والإذعان له.

ومما يدل على أهمية المعرفة بالله ﷻ أن الله تعالى خلق الخلق ليعرفوه فيعبدوه، وتحقيق العبودية لله تعالى أساسها المتين وركنها الركين هو معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، قال تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ وفي الجمع بين العلم والعبادة ما يجلّي هذه الحقيقة وهي أن الإيمان والتوحيد إنما هو علم وعمل، فالعلم بغير عمل كشجرة بلا ثمر، وهو مما ذُمّ به اليهود، والعمل بغير علم لا يكون، وهو مما ذُمّ به النصارى.

وعليه، فإن شرف العلم وغايته إنما يكون في ثلاثة أحوال: شرف العلم لذاته، وشرفه لمتعلقه، وشرفه لمنفعته وآثاره، وكلها متحققة في العلم بالله تعالى، فإن معرفة الله ﷻ والعلم عنه كما أنها مطلوبة لغيرها؛ فهي مطلوبة لذاتها[٦]، قال تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] ولم يبعد الإمام ابن قيم الجوزية حينما قال: (فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة)[٧]، وشرفه لمتعلقه؛ فلأن العلم يكون بشرف المعلوم، ولا أشرف من الله تعالى ومعرفته والعلم عنه، كما أن المعرفة به تعالى لها آثارها المتعددة سواء الإيمانية، أو التعبدية، أو السلوكية على مستوى الفرد أو الجماعة، أو الآثار التشريعية والتكوينية.

فالإيمان بالله تعالى أساسه وإحكامه قائم على المعرفة بالله تعالى، وصحة هذه المعرفة، فهي للإيمان بمثابة الأس للبنيان، فإذا كان الأس على شفا جرف هار، فإن تلك المعرفة تنهار، ولا يبقى لها أثر يُرى أو يروى، وقد صوّر القرآن هذه الحالة في صورة مادية يمكن مشاهدتها، قال تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾

[التوبة: ١٠٩] وتوثيق أسس الإيمان كتوثيق أسس البنيان، فمن كانت أسس بنيانه صلبة وقوية، لا يتهدم بنيانه، وإن تهدم جزء منه أمكن تداركه بخلاف ما لو كان الأسس غير وثيقة، فلا يبنى عليها بنيان، وإن بني فعلى جرف هار، وإذا تهدم كله أو جزء منه لا يمكن تداركه، لذلك، فلابد من توثيق أسس الإيمان لتبنى عليها الأعمال، ويسلم الطريق إلى الله ويسهل الوصول[٨].

فالمعرفة بالله ﷻ تمثل الأساس الذي تبنى عليه جميع المعارف، خاصة المتعلقة بعلم الاعتقاد، المتمثل جلّه في أركان الإيمان الستة، فالإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ متعلقة بأصلها الأول القائم على معرفته والإيمان به، والإقرار به ربًّا خالقًا مدبرًا، فهذا الركن هو أصل كل العلوم ومنشؤها ومستندها شرعًا وعقلا.

ومما يدل على أهمية المعرفة بالله تعالى كثرة دلائل النصوص الشرعية التي تحث على ضرورة الاعتناء بهذا الباب وحاجة الخلق الماسة إليه، بل إن حاجتهم إلى معرفة ربهم أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب والهواء وغير ذلك، يقول ابن تيمية رحمه الله: (والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدراً من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك)[٩]، مما يدل على أن معرفته أفضل شيء على الإطلاق.

المطلب الثاني: أسباب معرفة العبد ربه ﷻ:

أولًا: أن الله تعالى يحب أن يُعرف، فيحمد ويشكر، ويحب من يذكره ويثني عليه، ويحب من يحبه أو يحب شيئًا من أسمائه أو صفاته[١٠]، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ بشّر من كان يقرأ سورة الإخلاص في كل صلاة، ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن: بأن الله يحبه[١١] وهذا دليل على أن الله يحب من يحب ذكره بأسمائه، وصفاته ﷻ، قال ابن تيمية: (وهذا باب واسع)[١٢].

ثانيًا: إن معرفة العبد ربه من أسباب نجاته وفلاحه، ورفعته في الدنيا والآخرة، وسبيل سعادته، وكماله في تحقيق العبودية، وتذوق لذتها وحلاوتها، بحسب حياة القلب، ومحبته وشوقه لمعبوده، فمن كان في قلبه حياة وتوجه إلى الله رغبةً ورهبة، وإرادة لوجهه وشوقًا للقائه، سيحرص على معرفته وازدياد التبصر به، فالقلب السليم يكون ذلك أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، وأجل غاياته؛ لأن القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة تكون أكثر شوقًا لمعرفة الله، فلا شي يعدل فرحها بالظفر بمعرفة الحق ﷻ[١٣]، وفي تقرير المعنى نفسه يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر)[١٤].

ثالثًا: أن المعرفة بالله مؤنسة في القبر، ومعينة على تجاوز السؤال، فإن العبد بحاجة إلى معرفة ربه؛ لأنها

ستكون سببًا في نجاته من فتنة سؤال الملكين في قبره، فإن أول ما يُسأل عنه العبد، ويختبر فيه هو معرفته بربه، فيسأل: من هو ربك؟ فالسعيد الفائز من أجاب ونجى، والشقي المحروم من لم يجب فهلك.

رابعًا: أن حاجة العبد إلى معرفة ربه بأسمائه وصفاته حاجة ضرورية روحية نفسية، مغروزة في فطرة الإنسان، فالروح من أمر الله، وحاجتها للتغذية من مصدرها ضرورة، والواقع المشاهد على صعيد التربية، يؤكد لنا ضرورة الاعتناء بهذا الجانب وهذه القضية، فجهل الإنسان بمعرفة الله يفضي به إلى التقصير في عبوديته حقًا وصدقًا، فيؤدي العبادة مجردة عن معانيها الإيمانية، أو تصبح عنده مجرد عادة لا يستصحب فيها أدنى الحقائق المعرفية؛ لذلك، فالعلم بالله طريق إلى معرفته واليقين به، فكلما زاد معرفة بالله زاد قربًا وأنسا، وكلما ضعفت المعرفة كان من الله أبعد، وعن معرفته أجهل فالله يبادل العبد بالرضى كما يبادله، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩] ولا يكون ذلك إلا بالعلم به ﷻ.

خامسًا: أن معرفة الله تعالى تقوي عند العبد الجوانب الإيمانية والتعبدية والسلوكية، فتقوي عنده اليقين والإيمان وكل أنواع العبوديات كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإنابة والاستعانة وغيرها، فإن العبد كلما ازداد معرفةً بهذا الرب كان ذلك أعظم له في تحقيق العبودية، وتتميم الطاعة، والإحسان في التقرب إليه والانشغال به دون خلقه(١٥)، وعليه، فإن تحقيق كمال العبودية يستلزم كمال المعرفة؛ لاستحالة العبادة من غير معرفة.

سادسًا: أن معرفة العبد ربه تحقق له حصول اللذة، والسعادة في الدنيا، فإن الإنسان مجبول على طلبهما، والسعي لتحقيقهما، وهذا لا يكون إلا لمن عرف الله وأنِس به، فيحصل له من الراحة والنعيم، بل وتكمل له العبودية، حتى يحقق أعلى مراتب الدين وهو الإحسان، فيعبد الله وكأنه يراه؛ لقوة معرفته بالله واستحضار موجبات تلك المعرفة، وما تقتضيه من المعاني والآثار، وبخاصة عند تلاوته لآيات القرآن العظيم، فيستشعر مخاطبة الله له في كل آية، فهو يتلذذ بمناجاته كما يتلذذ المحب بمناجاة محبوبه، فيقف عند كل آية، ويمنحها حقها من التدبر، فينجذب قلبه إلى مولاه عند المرور على آيات المحبة، ويطيب له السير والتدبر في آيات الأنفس والآفاق، وآيات الرجاء والرحمة، ويدهشه سعة البر والمغفرة، فتكون له بمنزلة الحادي الودود الذي يلطِّف السير، ويتأمل في آيات الخوف والعدل والانتقام، فيكون في قلق شديد، من غضب الله وعقابه لمن حاد عن طريقه، فيصبح قلبه متقلبا بين الخوف والرجاء(١٦).

سابعًا: أن العبد بحاجة إلى معرفة ربه ليزداد إيمانه ويكمل، فإن الإيمان يزيد وينقص(١٧)؛ وللمعرفة التفصيلية بالله أثر كبير في زيادته وكماله وترسيخه، فـ (من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها كان إيمانه

أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء، بل آمن بها إيمانًا مجملًا أو عرف بعضها)[١٨]، فـ (كلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه)[١٩].

ثامنًا: أن المعرفة بالله لها تعلق بالأجور المترتبة على كثير من الأذكار، وفضائل السور والآيات بعضها على بعض، فالفضل فيها يرجع إلى ما فيها من الخبر عن الله، مما يؤكد أهمية هذا العلم، وكبير منزلته وجليل فضله وعظيم شأنه، وهذا مما يحفز العبد على المداومة عليها، والحرص على أن يتعلمها ويتعلم ما فيها من الخيرات والثمرات.

المطلب الثالث: موانع المعرفة بالله ﷻ:

الفرع الأول: الموانع الداخلية:

أولًا: الكفر، وهو من أعظم وأشد الموانع التي تمنع المعرفة الإيمانية بالله تعالى، وكذا تشوش على المعرفة الفطرية فهو مانع من ابتداء المعرفة وحصولها؛ لأن الكافر يكابر حتى على قناعاته وتصوراته ويعرض عن كل ما يمكن ويمنحه المعرفة، وقد ذكر لنا القرآن صورة من ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: ١٤] لذلك هذا الجحود يقود إلى إغلاق الطرق المؤدية إلى معرفة الله لحصول الكفر به أولًا.

ثانيًا: فساد الاعتقاد والتصورات بالشكوك والشبهات، وهي من أدق الموانع وأخفاها، فإن الإنسان قد يعرض له من المسائل المشتبهات ما يجعله يرى الحق باطلًا ويرى الباطل حقًا، وهو غير مدرك لهذا الزلل، فقد يمتلك الإنسان أدوات المعرفة لكنه يعتقد باعتقادات فاسدة، وهذه الاعتقادات والتصورات السلبية عن الكون، والإنسان والحياة تمنع عنه المعرفة الحقيقية بالله، وأهم طرق معالجة وإزالة هذا المانع الاتصال بمصادر المعرفة السمعية القرآن والسنة، التي بها يصحح التصورات والاعتقادات، فالاتصال بالقرآن (يزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه... فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها)[٢٠].

ثالثًا: الإعراض عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ علمًا وفهمًا وتدبرا، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤] فالإعراض عن كتاب الله ﷻ تلاوة وتدبرًا يمنع المعرض ويحرمه المعرفة بالله؛ لأن أعظم وأهم مصادر المعرفة هو القرآن، فالله ﷻ قد أوحى كتابه، وأوحى لرسوله بأسمائه وصفاته وأفعاله، كل ما يتعلق به؛ لذلك فالتواصل مع القرآن يكسب المتواصل هيبة، وجلالًا ومعرفة بالله، والعكس بالعكس[٢١].

رابعًا: عدم معرفة العبد بقلبه وبنفسه وعيوبها وآفاتها[٢٢] وفقرها إلى مولاها واضطرارها إليه، وغناها عنه، وقد قيل: (من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز)[٢٣]، وكذلك (من عرف قلبه عرف ربه، وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم، والله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته أن يمنعه من معرفته ومراقبته)[٢٤]، وأما من نسي ربه فقد أنساه نفسه ولذلك هو محجوب عن المعرفة به والعلم عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

خامسًا: سلوك الطرق والمناهج الخاطئة في تحصيل المعرفة الإيمانية الصحيحة كالنظر الاصطلاحي والأدلة العقلية والكلامية والمنطقية، ومنه: تقديم العقل على النقل، ومنه: طاغوت التأويل، ومنه: الجدل واللجج في المسائل العقدية المتعلقة بالأسماء والصفات، كمسألة نزول الله تعالى، فقد ينشغل المرء بالمجادلات والسجالات العلمية وما يتعلق بين مدرسة التمثيل والتعطيل ومدرسة أهل السنة والجماعة، وكيفية دفع الاعتراضات المتعلقة بهذه القضية من غير أن يستحضر الحكمة والغرض الأساسي من إيراد النبي ﷺ لمثل هذا الحديث العظيم وهو الحث على التقرب إلى الله ﷻ بعبوديات معينة حين نزوله إلى السماء الدنيا كالاستغفار والصلاة والدعاء، واستحضار قرب الله من عباده وإجابته دعائهم.

الفرع الثاني: الموانع المحيطة:

أولًا: التشويش على الفطرة، عندما خلق الله الإنسان أوجد فيه فطرة نقية، لو تُركت على أصلها دون مؤثرات ستقوده إلى معرفة الله المعرفة الأولية، لكن ما يحدث هو تشويهها وميلها عن الجادة بأنواع من المؤثرات الخارجية، ومن تلك المؤثرات: تعريضها لأنواع من الشكوك والشبهات الفكرية التي قد تخرجه عن نور الإيمان، وتحجبه عن المعرفة بربه ﷻ، وقد دل الوحي بأدلة كثيرة على كون الخلق مفطورين على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، وبمقتضى الفطرة يجب حصول الايمان إذا لم يحصل ما يشوشها، لذلك فحصوله لا يقف على شرط، بل على انتفاء مانع، ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لموجب الفطرة شرطا، بل ذكر ما يمنع موجبها حيث قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه...**»[٢٥]، وقد دل الحديث على أن ثمة مؤثر خارجي آخر، وهو الأبوان[٢٦]، فلو ترك الأبوان طفلهما على فطرته لعبد الله وحده وأقر به.

ثانيًا: البيئة والمجتمع، فالإنسان ابن بيئته ولا شك أن المحيط المجتمعي يؤثر فيه ويقوده للخير أو الشر،

وقد بين ذلك رسول الله ﷺ من حديث الجليس[٢٧]، فقد يؤثر في الإنسان مجتمعه الذي يحيط به.

ثالثًا: الملهيات المادية، ولا سيما اليوم حيث انفتاح العالم بعضه على بعض في برامج التواصل الاجتماعي وعرض الأفكار والآراء والديانات وترويج الشبهات من خلالها، والتضخم العلمي والمعرفي، كل هذا قد لا يعين المرء على سلامة دينه من الشبهات والانحرافات، فيقع فيما قد يؤثر عليه في دينه ويقدح في إيمانه ومعرفته بربه.

المبحث الثاني: منهج القرآن في التعريف بالله تعالى من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله

المطلب الأول: التعريف بالله من خلال سياقات وأفضلية ورود الأسماء والصفات والأفعال

الفرع الأول: التعريف بالله تعالى من خلال السياقات القرآنية:

إن المتأمل في سياقات القرآن في منهج التعريف بالله تعالى يجد أنها قد تنحصر في طريقين:

الطريقة الأولى: **تعريف ثم تكليف**، بمعنى: أن الله ﷻ يعرّف الخلقَ بنفسه، ويعرّفهم كمالَ أسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يأمرهم بطاعته أو عبادته أو الإيمان به، وهذا يتجلّى غالبًا في مطالع السور كمطلع آل عمران والإسراء وطه ونحوها، وفي مطلع سورة الحديد، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾ [الحديد: ١-٦]، فبدأت السورة بالتعريف بالله تعالى وذكرِ جملةٍ مِن أسمائه وصفاته وبعضٍ مِن أفعاله.

ثم أتى التكليف بعدها بالإيمان والإنفاق بقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧﴾ [الحديد: ٧] ولذلك عندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أخته قبل أن يسلم فإذا صحيفةٌ فيها أولُ سورة الحديد، فقرأها حتى بلغ قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧] فأسلم، ولعل تفسير هذا والله أعلم أنه لَمّا عرف بأن الله تعالى متفرّدٌ بالوحدانية وصفات الكمال، منزّهٌ عن كلّ عيبٍ ونقصان، لا شريك له ولا ندَّ ولا نظير[٢٨]، فامتلأ قلبُه بعظمة الله فآمن به. وفي هذا دلالة على أن أمر الله لخلقه بالعبودية مبنيٌّ على التعريف بكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا منهجٌ عظيمٌ وركيزةٌ أساسيةٌ ينبّه عليها القرآن.

فمثلًا في تربية الوالد ابنَه على عبادة الله وطاعته، فقبل أن يأمره بالعبادة ينبغي عليه أن يبيّن له أن هذه العبادةَ التي يؤدّيها إنما هي لأجله وليس لأجل الله؛ لأن الله تعالى غنيٌّ عن الخلق، وإن العبد هو المحتاج والفقير إليه[٢٩]، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، وقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

وغياب هذا الأمر في واقع التربية والغفلة عنه ينتج عنه الجرأةَ مِن الناس على ربهم سبحانه وتعالى، وهذا مشاهَدٌ وبخاصةٍ في الآونة الأخيرة، كمَن ينكر حقَّ الله على العباد، والظن بأنهم في غنى عن ربهم، وظنُّهم أنهم بقواهم يصلون إلى ما يبتغون، فوقع ما وقع في شباب الأمة مِن الانحراف، وهذا ليس سببُه فقط دافعَ الهوى، وإنما نسبةٌ كبيرة منه تقع على عاتق المربيين والدعاة والمصلحين.

فلو أن الإنسان تعلَّم مَن هو وما هي صفاته ومَن ربه وما هي أوصافه؛ مباشرةً سيعرف أن الله تعالى امتن عليه بتعريفه نفسَه وضعفَه وذلَّه، كما عرفه بعظمتِه وقوَّتِه وغناه، سيعرف حقيقةَ العبودية وأنها ليست مجموعةَ أوامرَ مكلَّفٍ بها، بل ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣]، فالإنسان يجد في العبودية لله متعةً لا يعادلها أيُّ متعة، كمَن يتعبد اللهَ بأسمائه الحسنى ويرى آثارَ صفاته في مفعولاته ويعايشها في يومه وليلته، فهذا يجد مِن الأنس واللذة والمعرفة عن الله ما يرزقه الطمأنينةَ والسكينةَ في معرفة الله، والعبوديةُ لله شرفٌ لأصحابها.

ومثاله التعبد لله باسمه الوكيل، فعندما يعلم العبد بأن الله سبحانه وتعالى هو (المتكفل بأرزاق جميع المخلوقات وأقواتها، القائمُ بتدبير شؤون الكائنات وتصريف أمورها)[٣٠]، فإنه لن يتخذ مِن دونه وكيلًا، وهذا ما حث عليه ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الإسراء: ٢]، فالعبد بصفاته الناقصة يحتاج إلى وكيلٍ لشؤونه كلِّها، وهذا الوكيل ليس مِن بشرٍ ناقصٍ مثله، بل مِن خالقٍ كاملِ الصفات.

الطريقة الثانية: تكليف بدلالة التعريف، والمعنى: مثل أن يأمر الله تعالى بالإيمان، ثم يعلل الأمرَ بأنه فعل لك كذا وأنعم عليك بكذا؛ ولذلك هو مستحقٌّ للإيمان، ومثل هذا في أوائل سورة النحل، قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣﴾ [النحل: ١-٣]، وهنا جملةٌ مِن الأخبار عن الله تعالى بجانب الأمر بالإيمان به.

ثم أخبر عن جملةٍ مِن أفعاله، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٤-٨]، وهنا لطيفة: أن أسماءَ الله وصفاتِه تعلّل كثيراً مِن أفعاله، والملاحَظُ في هذه الآيات أن الله يخبر عن الفعل ثم بعدها يخبر عن الاسم أو الصفة.

مثل إخباره عمّا خلقه مِن الأنعام التي سخَّرها للركوبِ وحملِ الأثقال، ثم علل هذه العطيةَ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾ قال ابن عاشور رحمه الله: (وجملة: إن ربكم لرؤف رحيم، تعليلٌ لجملةِ: والأنعام خلقها، أيْ خلقها لهذه المنافع؛ لأنه رؤوفٌ رحيمٌ بكم)[٣١]، فينبغي فهمُ هذه الأسماء والصفات حتى يُفهم المرادُ مِن سياقها؛ لأن في معرفةِ الله معرفةً للطريق الموصلة إليه.

الفرع الثاني: أفضلية الآيات والسور المتضمنة للتعريف بالله تعالى:

إن أعظم وأكثر ما ورد في القرآن هو الخبر عن الله تعالى، وقد تمايزت بعضُ السور والآيات عن بعضها البعض مِن حيث الأفضليةُ، كما ورد في أفضلية سورة الفاتحة على بقية السور، وآية الكرسي عن بقية الآيات وهكذا، وتعليل ذلك؛ لأن فيهما مِن الإخبار عن صفات الله وكماله ما ليس في باقي القرآن، ويتبيَّن ذلك مِن خلال ما يلي:

أولًا: آية الكرسي أعظم آية في القرآن، ويدل على ذلك قوله ﷺ لأبيِّ بن كعب رضي الله عنه: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية مِن كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية مِن كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر**»[٣٢]، وتكمن عظمتُها مِن جهاتٍ عدة، منها:

١. أنها جامعةٌ لأسماءٍ وصفاتٍ وأفعالٍ لله تدل على عظمته، فهي إخبارٌ خالصٌ عن الله تعالى.

٢. سياق ورود هذه الآية يدل على عظمتها، ويتبين ذلك مِن خلال النظر فيما بعدها مِن الآيتين التاليتين لها، قال تعالى بعد آية الكرسي: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:

٢٥٦]، وكأنه يراد به المعنى الآتي والله أعلم: يا أيها الإنسان بعدما عرفتَ عن هذه الأسماء وهذه الصفات وهذه الأفعال لله! فأنت لا تحتاج أن تُكرَه على هذا الدين، فلو كنتَ صاحبَ عقلٍ وبصيرةٍ وكنتَ محافظًا على فطرتك السويةِ؛ فإن الحسَنَ عندك حسَنٌ وإن القبيحَ عندك قبيحٌ، فعند ذلك سيكون عقلُك مرشدًا لك، فتعلم أنه مِن القبح أن تكون عبدًا لغير الله، ومِن أعظم الحسنِ أن يكون الله هو وليَّك ومولاك ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ فأين أنت أيها الإنسان العاقل!

٣. دلت على أن مِن أسباب الخروج مِن الظلمات إلى النور العلمَ عنه ﷻ، كما قال تعالى بعدها: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٤. وفيها أن الله يتولَّى المؤمنين ما داموا أقبلوا عليه، ووقع في قلوبهم معرفتُه، ومِن ثَمَّ محبته، ومِن ثَمَّ اختيار الرشد عن الغي، فيكون الله هو وليَّهم وحبيبَهم، يخرجهم مِن الظلمات إلى النور، وهذا بخلاف مَن لم يعرف الله، فهذا سيكون وليُّه الطاغوتَ يخرجه مِن النور إلى الظلمات والتيه والضياع وإلى مكر شياطين الإنس والجن.

٥. في سؤال النبي لأبيّ بن كعب ﷺ: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية....**» وهذا يدل على سعةِ علمه وفقهه، مِن جهة علمه بأن أشرف ما في القرآن هو الخبر عن الرحمن، فلما قال له النبي ﷺ: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»، أي: (ليكن العلم هنيئًا لك)[٣٣] تهنأ به، ولعل المقصدَ علمُه عن الله والله أعلم، ولذلك فإن معاني الحق في هذا الاسم ينبغي أن يتدبَّرها العبد ويتأمَّلها ويعتقدَ بها.

٦. بدأت الآية بخبرٍ عظيم واسمٍ أعظم، قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ وهو الاسم العلم الدال على ذات الله[٣٤]، وهو أعظم اسمٍ وكلُّ الأسماء والصفات تعود إلى هذا الاسم ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولذلك ورد أن هذا الاسمَ هو الاسمُ الأعظم الذي إذا دعا به العبدُ أُجيبت دعوته، وإلى هذا ذهب جمعٌ مِن أهل العلم رحمهم الله تعالى.

قال ابن عباس رحمه الله ورضي عنه في جملةٍ قد وُفِّق في بيانها: (وهو -أي الله- ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين)[٣٥]، فهو المستحق للمحبة لِمَا له مِن صفات الكمال والجلال والجمال.

ثانيًا: سورة الإخلاص عظيمةٌ، ولعظمتها فهي تعدل ثلثَ القرآن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يردِّدها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجلَ يتقالُّها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن**»[٣٦]، وذلك

مِن جهات:

١. مِن جهةِ ما تحمله مِن المعاني فهي تلخص ثلثَ المعاني الموجودة في القرآن، وهي أيضًا خبرٌ خالصٌ عن الله.

٢. أن عظمتها مِن جهة كون هذا الثلث هو أهمَّ موضوعٍ مِن مواضيع القرآن تتبعها المواضيعُ الأخرى، وممن يقرر هذا المعنى صاحبُ "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" في قوله عن سورة الإخلاص: (في كونها ثلثَ القرآن معانٍ: أحدها: أنه مشتملٌ على ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات الله تعالى، وهذِه السورة متمحِّضةٌ للصفات، فهي ثلثٌ وجزءٌ مِن ثلاثة أجزاء)[٣٧].

٣. مِن جهة أنها إثباتٌ للعبودية وإثباتٌ للألوهية، وهي مقابلُ النفيِ في سورة الكافرون، فالسورتان مكمِّلتان لبعضهما، والرسول ﷺ قال لنوفل: «**اقرأ:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ **ثم نم على خاتمتها، فإنها براءةٌ مِن الشرك**»[٣٨].

٤. مِن جهةِ كونِ نزولِها للتعريف بالله المعبود وما له مِن العظمة وكمال الصفات ونعوت الجلال، وهذا يُلحظ مِن قول أهل العلم عن سبب نزول هذه الآية، فإن المشركين قالوا لمحمد ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾...[٣٩].

ثالثًا: سورة الفاتحة أعظم سورةٍ في القرآن، عن أبي سعيد بن المعلى قال: «**كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ **ثم قال لي: لأعلمنَّك سورةً هي أعظمُ السور في القرآن، قبل أن تخرج مِن المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنَّك سورةً هي أعظمُ سورةٍ في القرآن، قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيت**»[٤٠]، ومِن أسباب كونها أعظمَ سورةٍ في القرآن:

١. لِمَا فيها مِن تعظيم الله والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله.

٢. الآيات الثلاث الأولى مِن السورة جمعت أصولَ الأسماء والصفات التي يعامل اللهُ بها الخلقَ، فإنه سبحانه يعاملهم بربوبيته وبرحمته وبألوهيته، فالإنسان يعيش في أثر هذه الأسماء الثلاثة، وكلُّ الأسماء والصفات الباقية تعود إلى هذه الأصول.

٣. أن الله ربَّى عبادَه، بمعنى أنه أوجد الإنسانَ وأعدَّه وأمدَّه وظهر في هذا كلِّه آثارُ رحمته.

المطلب الثاني: اقتضاء الأسماء والصفات والأفعال لآثارها من الخلق والتكوين، والعبودية

الفرع الأول: اقتضاء الأسماء والصفات والأفعال لآثارها من الخلق والتكوين:

كلُّ اسمٍ مِن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى يقتضي آثارَه مِن الخلق والتكوين، ومعنى يقتضي: أي: يستوجب، وأسماء الله تعالى إذا آمن بها العبدُ فذلك يستوجب منه أن يعتقد بأن لها آثارًا، والمطلوب منه أن يتأمل وينظر فيها، وأن تتحول عينه إلى عينٍ مبصرةٍ ترى أسماءَ الله وصفاتِه مِن خلال ما تراه في هذا الكون مِن آيات؛ لأن هذا النظر مِن (أجلِّ المقامات وأرفعِ الأمور التي توجب للعبد الرفعةَ وتعينُه على حسن المعرفة بالله وتحقيق محبته ولزوم الثناء عليه)(٤١)، وإلا فعدم العلم بها يستلزم عدمَ العلمِ بمقتضياتها وشهودِ آثارها في الخلق والكون.

ومِن المعلوم أن كلَّ اسمٍ مِن أسماء الله يتضمن صفةً ولا عكسَ، فالرحمن الرحيم، صفته الرحمة، والغفور صفته المغفرة، والجبار صفته الجبر والجبروت، والله صفته ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين(٤٢)، فـ (كلُّ صفةٍ لها مقتضٍ وفعلٌ –إمّا لازمٌ وإمّا متعدٍّ– ولذلك الفعل تعلُّقٌ بمفعولٍ هو مِن لوازمه، وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه، وكلُّ ذلك آثارُ الأسماء الحسنى وموجباتُها، ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيلُ الأوصاف عمَّا تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيلُ الأفعال عن المفعولات؛ كما أنَّه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله، وأفعالِه عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيلُ أسمائه وأوصافه عن ذاته)(٤٣)، والمقصود: أن الإنسانَ يشاهد أفعالَ الله تعالى مِن خلقٍ وتكوينٍ وإحياءٍ وإماتةٍ، فيستحيل عليه أن يعطِّل الفعلَ عن فاعله.

والتعطيل يكون باللسان أو بالحال، وقد لا يشعر به الإنسان؛ لغفلته وجهله في التعامل مع آثار أسمائه وصفاته، فأغلب الناس يعيشون حالةً مِن الأُمِّيَّة في تفسير أفعال الله وقراءتها، وحقيقةُ الإشكال ومنشؤه عند معظم الناس أنهم يعتقدون أن كلَّ نعمةٍ أو سببٍ يحصل لهم إنما يأتيهم مِن جهة الناس لا مِن السماء، فينسبون النعمَ والأرزاقَ إلى غير الفاعل حقيقةً، إلا مَن أنعم الله عليه بنور البصيرة وإدراك الحقيقة، فيلتفت قلبُه إلى الله مباشرةً عند كلِّ عطيةٍ أو بليةٍ، فلا يدعو إلا الله ولا يطلب إلا الله ولا ينتظر الفرجَ مِن غير الله، وإن أتاه على يدِ إنسانٍ مثله، عَلِمَ ببصيرته أنه سببٌ، وأن الله هو ربُّ السبب وهو الذي أنعم عليه وسخَّر له، فيرى آثارَ أسمائه وصفاته وأفعاله في كلِّ ما حوله، وهذا هو الموفَّق.

ومثال التعطيل مِن الواقع: نسبة تربية الابن للوالدين، وصورةُ التعطيل الحاصلةُ هي نسبةُ المفعول –التربية– إلى غير فاعله حقيقةً وهو الله ﷻ، فعندما يُرزق الوالدان بمجموعةٍ مِن الأبناء، تربيتهم صالحةٌ وأخلاقُهم حسنةٌ، تجد أنهم يفرحون وينسبون إليهم الفعلَ بصورةٍ محضة، ويغفلون عن حقيقة أن الله تعالى

هو المربِّي، وهو الذي قسَّم أخلاقَ الناس كما قسَّم أرزاقَهم كما ورد في الحديث[٤٤]. فالعارف بالله والعالم بأسمائه وصفاته وأفعاله وآثارِها يعلم حقيقةً أن الوالدين عبارةٌ عن البيئة التي هُيِّئَت لنشأة الابن نشأةً حسنةً، وهذا أيضًا رزقٌ وتوفيقٌ مِن الله تعالى، وإلا فقد ينشأ مِن البيئة الواحدةِ أبناءٌ مختلفو الأخلاقِ والسلوكِ والثباتِ على الدين رغم أنهم نشؤوا في بيئةٍ واحدة، فمَن الذي هدى هذا للانتفاع بما حوله ومَن الذي منع الآخرَ مِن الانتفاع بما حوله؟ الله ﷻ، وهذه المعرفة لا تأتي إلا مِن التعلُّم والتفقُّه في أسماء الله وصفاته ومعانيها.

يقول ابن القيم ﵀ في بيان أثر تعطيل الفعل عن فاعله وتعطيلِ الصفة عن آثارها: (فإذا عُطِّلت شواهدُ الصفات، ووُضعت أعلامُها مِن القلوب، وطُمست آثارُها فيها ضُربت بسياط البعد، وأُسبل دونها حجابُ الطرد، وتخلَّفت مع المتخلِّفين، وأوحى إليها القدر: أن اقعدي مع القاعدين؛ فإن أوصافَ المدعوِّ إليه ونعوتَ كماله وحقائقَ أسمائه هي الجاذبةُ للقلوب إلى محبته وطلبِ الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب مَن تعرفه، وتخافه وترجوه وتشتاق إليه، وتلذُّ بقربه وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بصفاته، فإذا ضُرب دونها حجابُ معرفة الصفات والإقرار بها امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروطٌ بالمعرفة وملزومٌ لها؛ إذ وجودُ الملزوم بدون لازمه والمشروطِ بدون شرطه ممتنع، فحقيقةُ المحبة والإنابة والتوكل ومقام الإحسان ممتنعٌ على المعطِّل امتناعَ حصولِ المغل مِن معطِّل البذر، بل أعظم امتناعًا)[٤٥].

وعليه فإن العبد كلما تعرَّف على أسمائه وصفاته وأفعاله دلَّته وزادته معرفةً على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبيّة والألوهية التي هي في غاية الكمال، وأيضًا تدله على أفعاله التي هي في نهاية الحسن والكمال. **وسنبيّن أمثلةً في اقتضاء الأسماء لآثارها**[٤٦]**، ومِن ذلك:**

١ . **اسم الله الشافي**، لم يردْ في القرآن إلا بصيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠]، وأما في السنة فقد ورد الاسمُ في قوله ﷺ إذا أتى مريضًا أو أتي به إليه: «**أذهب الباسَ ربُّ الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[٤٧].

ومعنى اسمه الشافي: أي وحده الذي يطلب منه الشفاء، شفاء الأمراض الجسدية، والقلبية، والروحية والنفسية[٤٨]، فينبغي على العبد أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا أحدَ غير الله يقدر على ذلك؛ لأنه بالرغم مِن كثرة الأمراض فقد تفشَّى في الناس أن يهربوا إثرَ المرض إلى الطبيب وينسوا أن الله هو الطبيب، وقد ورد في الحديث أن أعرابيًا قال للنبي ﷺ: أرني ظهرك إنني طبيب، فقال ﷺ: «**أنت رفيق، والله الطبيب**»[٤٩]، وهذا لا يعني عدمَ الأخذِ بالأسباب وعيادةِ الطبيب؛ لكن ينبغي الحذرُ مِن قوةِ التعلُّقِ بغير الله، وقطعُ الطمعِ

في غيرِه ورجاءِ غيره.

فالله ﷻ هو الذي يهيّئ أسبابَ الشفاء؛ فكلُّ سببِ شفاءٍ وضعه الله في الأرض إنما هو هبةٌ منه؛ انتفع به مَن انتفع وغفل عنه مَن غفل، وهو الذي ييسر الأخذَ بأسبابِ الشفاء، وهو في الحقيقة الذي ينفع بالسبب؛ فيجعل الشفاءَ يسري في البدن، **ومِن آثار مقتضيات اسمه الشافي** أنْ جعل هذا البدنَ أو القلبَ يتعرض للمرض؛ حتى يتحقق معنى اسمه الشافي في الخلق؛ فمَن يملك الشفاءَ غيرُ الله؟ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠].

٢ . **اسم الله الحافظ والحفيظ**، وقد وردا في القرآن في مواضعَ، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨٢]، ومعنى اسمه الحفيظ: أي الذي (يحفظ على الخلق أعمالَهم، ويحصي عليهم أقوالَهم، ويعلم نيّاتِهم وما تكنُّ صدورُهم، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ)(٥٠). **ومِن آثار مقتضيات اسمه الحفيظ** أنه محيطٌ بأفعال العباد كلِّها، ويعلم ظاهرَها وباطنَها سرَّها وعلنَها، وأن حفظه يسبقه علمُه؛ فكلُّ شيءٍ معلومٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، فالله يعلم أفعالَ العباد، أحاط بها، وكتبها، وهذا كلُّه سابقٌ لوقوع الأفعال، فينبغي على العبد أن يعامل هذا الاسمَ في الأعمال عامةً، وأعمالِ القلوبِ خاصة(٥١).

وأيضًا من آثار مقتضيات اسمه الحفيظ أنه تعالى الحافظُ للمخلوقات كلها، مِن سماءٍ وأرضٍ وما فيهما، فيحفظ السماءَ أن تقع على الأرض، قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥](٥٢)، وهذا دليل على أن النظامَ الكونيَّ محبوكٌ محفوظ، فخلقه حين خلقه على أجودِ ما يكون، وأبقاه بحفظه حين أبقاه. **ومِن آثار حفظه** أنه (تكفَّل سبحانه بحفظ كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، فلا يطوله تحريفٌ، ولا يلحقه تبديلٌ، ولا يُغيَّر فيه حرفٌ، ومع تطاول الأيام وامتداد الزمان بقي القرآنُ كما هو، وبقيت آياتُه كما أنزلها الله على نبيه ﷺ، وسيظل محفوظًا بحفظ الله ﷻ)(٥٣)، فينبغي على العبد أن يتيقَّن بأن هذا الكتابَ محفوظٌ مهما بُذلت الجهودُ لتغييره، فالله يُقيِّض له مَن يدفع عنه التحريفَ والتبديل، فيبقى محفوظًا في الصدور مكتوبًا في السطور، يقيِّض له فئةً مِن هذه الأمة يتعبَّدون لله بامتثال أوامره إلى قيام الساعة، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ مِن أمتي منصورين لا يضرهم مَن خذلهم حتى تقوم الساعة**»(٥٤)، ينصرهم الله الذي حفظهم.

٣. **اسم الله الجبار**، ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]، ومعنى اسمه الجبار: أي (القاهر لكلِّ شيء، الذي دان له كلُّ شيء، وخضع له كلُّ شيء، فالعالم العلوي والسفلي بما فيهما مِن المخلوقات العظيمة كلها قد خضعت في حركتها وسكناتها، وما تأتي وما تذر لمليكها ومدبِّرها، فليس لها مِن الأمر شيء، ولا مِن الحكم شيء، بل الأمر كله لله، والحكم الشرعي والقدري والجزائي كله له، لا حاكم إلا هو، ولا ربَّ غيره، ولا إله سواه)(٥٥).

وهو صيغة مبالغةٍ مِن اسم الفاعل (الجابر)، وأصل الجبر إصلاحُ الشيء بضربٍ مِن القهر، أي بنوعٍ مِن القوة والقدرة، ومعنى الجبار في حقِّ الله يتضمن ثلاثةَ معانٍ متصلةٍ بالعلو، وبالقهر، وباللطف والرحمة(٥٦)، **ومِن آثار مقتضيات اسمه الجبار** أنه يجبر الفقرَ بالغنى، والمرضَ بالصحة، والخيبةَ والفشلَ بالتوفيق والأمل، ويجبر الخوفَ والحزنَ بالأمن والاطمئنان، فهو جبَّار متَّصفٌ بكثرة جبره حوائجَ الخلائق، ولذلك ينبغي على العبد أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن حوائجه صغيرَها وكبيرَها لا يجبرها إلا الله وحده، ففرقٌ بين عالمٍ عن الله ينتظر جبرَه مِن الله وبين جاهلٍ ينتظر جبرَه مِن أسبابِ نقصه!

ومن آثار مقتضيات اسمه الجبار أنه تعالى يجبر قلوبَ المؤمنين(٥٧)، فترى أن قلوبَ الخاضعين لعظمته مجبورةٌ عن الدنيا، فكلما وقع في قلوبهم شعورُ النقص في الدنيا يجبره المولى مباشرةً بما يفيض عليهم مِن أنواع المعارف إلى أن تكمل قوةُ تعلقهم بالله، فيصبح إقبالُ الدنيا عليهم أو ذهابها سواءً في نفوسهم! **ومن آثار مقتضيات اسمه الجبار** أنه العلي على كل شيء، فله علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر(٥٨)، فهو الجبار العالي في ذاته، العالي في قدره وأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم في وصف الجبار:

وَكَذَلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسْمَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ... ذَا كَسْرَةٍ فالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ
والثَّانِ جَبْرُ القَهْرِ بالعِزِّ الَّذِي ... لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
وَلَهُ مُسَمّىً ثَالِثٌ وَهوَ العُلُوُّ ... فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ(٥٩)

ومِن آثار مقتضيات اسمه الجبار أن أمره نافذٌ على كلِّ شيء، وبيده أمرُ كلِّ شيءٍ، ولا شيءَ يستعصي عليه ﷻ، فمِن ظهورِ آثار هذا الاسم أن الأرضَ تصبح كلُّها بمثابة الخبزة يطعمها نزلًا لأهل الجنة، كما ورد في الحديث الصحيح: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدة يَتَكَفَّؤُهَا الجبار بيده كما يَكْفَأُ أحدكم**

خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة...»(٦٠)، فكما وجد الإنسانُ مِن مظاهر الأرض أو مظاهر فعل أهل الأرض ما يراه عظيمًا، فليعلم أن هذا العظيمَ إنما هو تحت قهر الله وسلطانه وتدبيره، وأن الله تعالى قادرٌ على أن يهلكه كلَّه، بل يَتكفَّأ(٦١) الله تعالى الأرضَ كما يتكفَّأ أحدهم خبزتَه، فسبحان مَن له الكمال المطلق في وصفه بأنه جَبَّار قَهَّار، فينبغي على العبد أن يتعبد الله بهذا الاسم دعاءً عبادةً بتوحيد الله تعالى بالخوف، فكلما داهمه خوفٌ مِن أحدٍ علم يقينًا أن سلطان الله فوق سلطانه، وقهرَ الله فوق قهره.

٤ . **اسم الله المهيمن**، وقد ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]، ومعنى اسمه المهيمن: أي الذي يراقب الشيءَ ويحفظه ويشهد عليه(٦٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (قال ابن عباس وغيرُ واحد: المهيمين هو: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى: هو رقيب عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ [الرعد: ٣٣])(٦٣).

و(معناه في حق الله ﷻ أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامُه عليهم باطِّلاعه واستيلائه وحفظه، وكلُّ مشرفٍ على كنهِ الأمرِ مستولٍ عليه حافظٌ له فهو مهيمنٌ عليه، والإشرافُ يرجع إلى العلم، والاستيلاءُ إلى كمال القدرة، والحفظُ إلى الفعل)(٦٤).

ومِن آثار مقتضيات اسمه المهيمن أنه مطِّلعٌ على ما قام في صدور عباده، مطَّلعٌ على أحوالهم، شهيدٌ على أعمالهم، حافظٌ لأفعالهم، رقيبٌ عليهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩]، فالله مع جلاله وعظمته لكنه إلى قلوب عباده ناظرٌ! وإلى أفعال قلوبهم وأبدانهم شاهدٌ! ثم إنه لهذا كلِّه حافظٌ، فينبغي على العبد أن يراقب اللهَ في السرِّ والعلن، ويخافه ويجلَّه ويعظِّمه.

٥ . **اسم الله الخالق البارئ المصور**، وقد وردت هذه الأسماء مجموعةً في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ﴾ [الحشر: ٢٤]، ومعنى هذه الأسماء: أي (هو المنفرد بخلق جميع المخلوقات، وبرأ بحكمته جميعَ البريات، وصوَّر بإحكامه وحسن خلقه جميعَ الكائنات، فخلقها وأبدعها وفطرها في الوقت المناسب لها، وقدَّر خلقَها أحسنَ تقدير وصنعها أتقنَ صنعٍ)(٦٥)، **ومِن آثار مقتضيات هذه الأسماء** أن الله تعالى قدَّر للناس تفاصيلَ أحوالهم، وأشكالهم، ومصالحهم.

ومِن آثار مقتضيات هذه الأسماء أن البارئ هو الذي يبرئ الإنسانَ مِن المرض ويخرجه منه؛ فلذلك لابد للعبد أن يستحييَ مِن الله أن يتعلَّق قلبُه بغيره، خاصةً وقت المرض؛ لأن الذي برأ البرايا هو الذي يبرؤها مِن المرض.

ومِن المواقف الخطيرة التي يقع فيها فئامٌ مِن الناس الاستهزاءُ بالصورة الخارجية للإنسان، وعدمُ الرضا عن الصورة التي صوَّرها الله بها، وهذا اتهامٌ لله تعالى بالنقص، وهو أمرٌ في غاية القبح والخطورة؛ كيف لا يستحيي العبدُ مِن الله تعالى وهو يعامل اللهَ بهذه المعاملة! كيف لا يستحيي مِن الله وقد سمّاهم (بريَّة)؛ ليتذكروا أن الله تعالى هو البارئ لهم والمصوِّر لهم، فيقع في قلوبهم حياءٌ مِن أن يتَّهموه بالنقص والعيب وهو الذي برأهم! ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله، (فيظهر شاهدُ اسم (الخالق) مِن نفس المخلوق، وشاهد اسم (الرزاق) مِن وجود الرزق، وشاهد اسم (الرحيم) مِن شهود الرحمة المبثوثة في العالم، واسم (المعطي) مِن وجود العطاء الذي هو مدرارٌ لا ينقطع لحظةً واحدةً، واسم (الحليم) مِن حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم، واسم (الغفور) و(التواب) مِن مغفرة الذنوب وقبول التوبة، ويظهر شاهدُ اسمِ (الحكيم) مِن العلم بما في خلقه وأمره مِن الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كلُّ اسمٍ مِن أسمائه الحسنى له شاهدٌ في خلقه وأمره، يعرفه مَن عرفه ويجهله مَن جهله، فالخلق والأمر مِن أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكلُّ سليمِ العقل والفطرة يعرف قدرَ الصانع وحذقَه، وتبريزَه على غيره، وتفرُّدَه بكمالٍ لم يشاركه فيه غيرُه مِن مشاهدةِ صنعه، فكيف لا تُعرف صفاتُ مَن هذا العالمُ العلويُّ والسفليُّ وهذه المخلوقاتُ مِن بعضِ صنعه؟!

وإذا اعتبرتَ المخلوقاتِ والمأموراتِ، وجدتها كلَّها دالةً على النعوت والصفات وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أن المعطِّلَ مِن أعظم الناس عمىً ومكابرةً، ويكفي ظهورُ شاهد الصنع فيك خاصةً، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، فالموجودات بأسرها شواهدُ صفاتِ الرب ـ جل جلاله ـ ونعوتِه وأسمائه، فهي كلُّها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها، وتدل عليها، وتخبر بها بلسانِ النطق والحال)[٦٦]، كما قيل:

تأمَّل سطورَ الكائنات فإنها ... مِن الملِكِ الأعلى إليك رسائلُ
وقد خطَّ فيها لو تأمَّلتَ خطَّها ... «ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ»
تشير بإثبات الصفات لربها ... فصامتها يهدي ومَن هو قائلُ[٦٧]

الفرع الثاني: اقتضاء الأسماء والصفات والأفعال لآثارها من العبودية:

وكما أن الأسماء والصفات والأفعال تقتضي آثارَها مِن الخلق والتكوين؛ فهي كذلك تقتضي موجباتِها مِن العبودية، فكلُّ اسمٍ لله وكلُّ صفةٍ تقتضي عبوديةً خاصةً تليق بهذا الاسم وهذه الصفة(٦٨)، تتحقق للعبد عند معرفته بربه، وليس الشأن في المعرفة دون العمل بها، فالواجب على العبد أن يتعبَّد لله بمعرفته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله ﷻ يحب مِن العبد أن يدعوَه بأسمائه ويتقرَّبَ إليه بها، ويسألَ حاجاتِه على حسب مقتضى كلِّ اسمٍ وصفة، ومعرفةُ العبد لأسماء الله وصفاته يثمر له عبوديةَ الباطن والظاهر، ومثال ذلك(٦٩):

معرفة العبد بأن الله تعالى هو النافع الضار، المعطي المانع، يثمر له عبوديةَ التوكل باطنًا، ولوازمَها وثمراتِها ظاهرًا، فلا يلتفت قلبُه لغير الله، ولا يسأل إلا الله، يعلم يقينًا بقلبه أن الله وحده كافيه، وأن أزِمَّة أموره كلِّها بيديه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وعلاقة التوكل في هذه الآية باسمِ الحيِّ فيه تنبيهٌ على أن الله تعالى الذي بيده حوائجُ الخلق حيٌّ لا يموت وأن الناس جميعًا يموتون سواءٌ بالموتة الكبرى أو الموتة الصغرى، والمقصود التنبيهُ على قطعِ الطمعِ فيما عند الخلقِ وانتظارِ حصول الحوائج منهم.

وينبغي أن يُعلم بأن قول القلب واعتقادَه بأن الله تعالى حيٌّ لا يموت، إذا خرج مِن قلب العبد صدقًا ويقينًا، فإنه لا بد أن يصدِّقه فعلُ القلب وهو التوكل، وكذلك عملُ الجوارح يصدِّق ذلك القولَ، والمؤمن لا بد وأن يُمتحن على صدق اعتقاده وإيمانه، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ٢]، قال ابن عثيمين رحمه الله مؤكدًا على هذا المعنى، أي: (يُختبرون بما يتبيَّن به حقيقةُ إيمانهم، وهذا الاستفهام للإنكار، يعني: لا تظنوا أنكم إذا قلتم: آمنا، تُركتم بلا فتنة، بل لا بد مِن فتنة واختبار... فإن الله تعالى قد يبتلي الإنسانَ بمصائبَ يختبر بها إيمانَه، مصائبَ في أهله أو ماله أو بدنه، ومِن الناس مَن إذا أصابته هذه المصائبُ -والعياذ بالله- عجز أن يصبر، وربما ارتدَّ بعد إسلامه وكفر، ومِن الناس مَن يصبر ويحتسب.

كذلك قد يُبتلى المرءُ بأمرٍ يُسلِّطه الله عليه، مثل أن يسلط عليه قومًا يؤذونه بالقول أو بالفعل أو بهما جميعًا، مثل ما حصل للنبي -ﷺ- وأصحابه رضي الله عنهم، فإن النبي عليه الصلاة والسلام أوذي إيذاءً عظيمًا مِن قومه، ومِن غير قومه، وكذلك أصحابُه أوذوا إيذاءً عظيمًا، ومع ذلك صبروا واحتسبوا، فإن عمار بن ياسر وآله

حصل لهم إيذاءٌ عظيم، وكذلك غيرُهم مِن المؤمنين، منهم مَن يُؤذى بالقول، ومنهم مَن يُؤذى بالفعل، ومنهم مَن يُؤذى بالقول وبالفعل)[٧٠]، وهكذا الشأن في سائر الأسماء والصفات المقتضية لآثارها مِن العبوديات المتعلقة بقوةِ وصدقِ اعتقاد العبد بالمعارف الإلهية.

وكذلك معرفته بأن الله سميع بصير، محيطٌ بكلِّ شيء كما وسع علمُه كلَّ شيء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فإنه يثمر له عبوديةَ الخوفِ والخشية والمراقبة لله باطنًا وظاهرًا، فيحرص على أن يُرِيَ اللهَ مِن نفسه خيرًا، ويحرص على تزكية قلبه، ويراقب الله في كل أفعاله وأقواله، فلا يسمع الله منه إلا ما يحبُّ فيحفظ بذلك لسانه، ولا يرى منه إلا ما يحبُّ فيحفظ بذلك جوارحَه، حياءً منه ﷻ[٧١].

قال ابن رجب رحمه الله: (راود رجلٌ امرأةً في فلاةٍ ليلًا فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مُكوكِبُها؟!)[٧٢]، فأثمر لها العلمَ بالله وخشيتَها منه مِن اقتراف الذنب والوقوع في الخطيئة. وإذا عرف (أن الله تعالى غنيٌّ كريمٌ، جوادٌ كثيرُ الإحسان، وهو مع كمال غناه عن الخلق يحسن إليهم بأنواعٍ مِن النعم والعطايا رغم ذنوبهم ومعاصيهم فإنه يثمر له كمالَ الذلِّ والمحبة، فإن الإنسان جُبِلَ على محبة المنعِم عليه، ويثمر له قوةَ الرجاء والطمع فيما عند الله، ويؤثِر ذلك عمّا في يد الخلق، فإن الله تعالى يحسن لعباده ويكرمهم، لا لجلب منفعةٍ منهم أو دفعِ مضرة -تعالى الله عن ذلك- بل رحمةً منه وإحسانًا، فهو سبحانه لم يخلق خلقَه ليتكثَّر بهم مِن قلة، ولا ليعتزَّ بهم مِن ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله ﷺ: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**» رواه مسلم)[٧٣].

وإذا عرف اللهَ تعالى بأسماء الجلال والجمال فإن ذلك يورثه محبةً خاصةً وشوقًا إلى الله لا يعدله أيُّ شوق، ويثمر له فعلَ الطاعات والقربات تذللًا ومحبةً لنيل رضا الله تعالى ومحبته. وإذا عرف عظمةَ الله وجبروتَه وقوَّتَه وقهرَه أورث له أنواعًا مِن العبوديات مثل عبودية الخضوع والاستكانة والمذلة لله ظاهرًا وباطنًا. وإذا عرف بعدلِ اللهِ وانتقامِه وغضبِه وشدةِ عقابه أورثه ذلك الخوفَ مِن الله تعالى والحذرَ مِن مساخطِه، واجتنابَ نواهيه ظاهرًا وباطنًا. وبهذا يعلم أن العبودية بجميع أنواعها راجعةٌ إلى مقتضيات الأسماء والصفات[٧٤]، وعليه فينبغي للعبد أن يسعى في تطلُّبِ معرفةِ هذه المقتضيات حتى يعبد اللهَ على بصيرةٍ وعلم، فكلما ازداد العبد

معرفةً بالله كلما زاد إيمانُه وقوي يقينُه.

ومما يجدر التنبيهُ إليه ضرورةُ حسنِ ظنِّ العبد بربه عند أداء العبودية، فإذا علم عن الله أمرًا أو وعدًا فلا يختبر وعود الله تعالى ولا يجرّبها؛ فإن ذلك مِن سوء الأدب مع الله وسوءِ الظنِّ به، فالله ﷻ يعلمنا بأنه صادق الوعد وأن وعده حق ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢]؛ لأن كثيرًا مِن الناس -إلا مَن عرف اللهَ حقَّ المعرفة- يقعون في شيءٍ مِن هذا تجاهَ ما يصيبهم مِن الأقدار والحوادث صغيرةً كانت أم كبيرة، فتجد شخصًا علم بأن الله تعالى حفيظٌ، ويتلو قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ [هود: ٥٧]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ [سبأ: ٢١].

يحفظ العبادَ مِن جميع ما يكرهون، ويدفع عنهم كلَّ الشرور[٧٥]، وهو مع ذلك إذا امتحن بأقلِّ المواقف، مثل أن يستودع الله في أمرٍ له، فتجد اعتقادَه بمقتضيات هذا الاسم مهزوزةً، وعين قلبه ملتفتةً عن الله، ويكاد قلبه يطير مِن القلق في تحقيق مطلبه؛ وهذا لم يعرف اللهَ حقَّ المعرفة، ولم يصدق قولُه فعلَه، فأين ثقته بربه وإيمانه باسمه وصفته! ومما يقرر هذا المعنى ويقويه ما ورد عن أبي سعيد ﷺ: «**أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: أخي يشتكي بطنَه، فقال: اسقه عسلًا، ثم أتى الثانيةَ فقال: اسقه عسلًا، ثم أتاه، فقال: فعلتُ، فقال: صدق اللهُ، وكذب بطنُ أخيك، اسقه عسلًا، فسقاه فبرأ**»[٧٦]، فينبغي قوةُ اليقين بخبر الله، فالله صادقٌ في كونِ هذا العسل شفاءً.

الحمد لله على ما أنعم به وتفضل، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا وبعد: ختام القول في هذا البحث أعرض ما توصلت إليه من أهم النتائج والتوصيات، فإن أصبت فمن الله ﷻ وحده وذاك مرادي، وإن أخطأت فمن نفسي وقصور علمي، فأسأل الله العفو والقبول.

- **أهم النتائج:**

١. أن معرفة الله تعالى لها أهمية ومنزلة عظيمة في الدين؛ فالعلم بالله تعالى هو من أشرف العلوم وأجلها، لذا كان حقيقًا بالعبد أن يعرف الأسباب الداعية إلى معرفته بربه وخالقه ومعبوده، الذي أوجده وأعده وأمده، وأسبغ عليه نعمه ظاهرةً وباطنة، ومن أجل تلك النعم: نعمة معرفته والعلم عنه تبارك وتعالى؛ فيؤدي شكر النعمة، ويحمد الله على عظيم المنّة، أن أقدره على معرفته، ويسر له سبل تلك ومصادرها.

٢. أن هناك صوارف تحول بين العبد، وبين معرفته لربه، وعليه، فإن للمعرفة موانع ينبغي تجنبها حتى تتحقق له المعرفة الصحيحة خالية من الشوائب والآفات التي تعرقل سيره فيها، فإن (الشيء كلما قويت أسبابه وتعددت، وانقطعت موانعه واضمحلت: كان أوجب لكماله وقوته وتمامه)[٧٧]، وهي على نوعين:

الأول الموانع الداخلية، والثاني الموانع المحيطة، وكلاهما آفة في طريق المعرفة بالله تعالى.

٣. أن هناك سياقان للقرآن في التعريف بالله تعالى، الأول: تعريف بالله ثم تكليف بعبادته، أو تكليف بدلالة التعريف.

٤. أن لأسماء الله الحسنى وصفاته آثار على الخلق والكون والعبودية، فمن عرف معانيها وشاهد آثارها فإن لذلك آثاراً على كمال عبوديته وافتقاره وذله لله تعالى، وكذلك آثاراً على حسن سلوكه وأخلاقه.

- **أهم التوصيات**: أوصي بدراسة هذه الموضوعات في بحوث علمية، وهي:

- معرفة الله وطريق الوصول إليه عند ابن القيم.
- موقف ابن القيم من المعرفة الصوفية.
- معرفة الله عند الشيعة (دراسة تحليلية نقدية).
- المعرفة عند متأخري المتكلمين (دراسة تحليلية نقدية).
- معاني أسماء الله الحسنى عند محمد بن يوسف السنوسي (عرض ونقد).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد الله رب العالمين.

هوامش البحث:

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢٨٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥٥/١٧-٥٦)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢٥/٧)، وغيرها من التفاسير التي ورد فيها هذا المعنى.

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ (٥/ ٦).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٧)، وانظر: مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ (٣٢٥/٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦١/١) برقم (١٧٩).

(٥) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الحسين الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ (٥٥٢/٢) رقم (٩١)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (١٦٦/١).

(٦) انظر: مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ (١٧٨/١).

(٧) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١٧٨/١).

(٨) انظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ

(ص١٥٥-١٥٦).

(٩) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ (٥/ ٣١٠).

(١٠) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٣٢٤).

(١١) صحيح البخاري (٩/١١٥) برقم (٧٣٧٥).

(١٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/٣١٢).

(١٣) انظر: الصواعق المرسلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ (١/١٦١).

(١٤) الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن تيمية، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعي — الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ (ص١٨٤).

(١٥) انظر: مجموع رسائل ابن رجب، عبد الرحمن بن رجب، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة، ١٤٢٤هـ (١/٤١).

(١٦) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عطاءات العلم — الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ (١/٤٥٩).

(١٧) انظر: الإيمان، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي — عمان، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ (ص١٧٦).

(١٨) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/٢٣٤).

(١٩) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ (ص٤٧).

(٢٠) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ٩٥-٩٦).

(٢١) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص٦٩).

(٢٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (ص٧١٣).

(٢٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٩/ ٢٩٧).

(٢٤) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن قدامة المقدسي، تقديم: محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة دار البيان — دمشق، ١٣٩٨هـ (ص١٤٨).

(٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/١٠٠) برقم (١٣٨٥)، ومسلم في صحيحه (٨/٥٢) برقم (٢٦٥٨). (بنحوه مطولًا).

(٢٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٤٥٤).

(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٦٣) برقم (٢١٠١)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٨).

(٢٨) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، ١٩٨٤هـ (٢٧/٣٥٧).

(٢٩) مع التنبيه أن هناك بواعثَ تدفع الإنسان للعبادة، وأهمها معرفة حق الله على العباد، وهو استحقاقه للألوهية والعبادة؛

لكونه متَّصفًا بصفات الكمال والجلال وعلوِّ الذات، فالعبادة مستحقةٌ لذاته ﷻ، لقول رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ: «... فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا...». أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩/٤) برقم (٢٨٥٦).

(٣٠) فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: دار التوحيد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ (ص٢٧٨).

(٣١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠٧/١٤).

(٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٥٦/١) برقم (٨١٠).

(٣٣) صحيح مسلم، شرح محمد فؤاد عبد الباقي (٥٥٦/١) برقم (٨١٠).

(٣٤) انظر: التوحيد، محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ (٢٢/٢).

(٣٥) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (١٢٣/١).

(٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٩/٦) برقم (٥٠١٣).

(٣٧) عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي (٨٢/٢٤).

(٣٨) رواه أبو داود في سننه (٣٩٥/٧) برقم (٥٠٥٥). قال الألباني: حديث حسن، انظر: الجامع الصغير وزيادته (٢٩٢) برقم (٢٩٢).

(٣٩) رواه الترمذي في سننه (٤٥١/٥) برقم (٣٣٦٤). قال الألباني: حسن دون قوله والصمد الذي، انظر: نفس المصدر.

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧/٦) برقم (٤٤٧٤).

(٤١) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، لمحمد بن عبد الوهاب (ص٣٧٠).

(٤٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص٢٢).

(٤٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٣١/٢).

(٤٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (١ / ٣٣) برقم (٩٥) وقال: حديث صحيح الإسناد. وقال الدار قطني: والصحيح موقوف. ينظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية (٥ / ٢٦٩).

(٤٥) مدارج السالكين، لابن القيم (٣٠٢/٤).

(٤٦) ولأن الأسماء كثيرةٌ ولا يستوعبه البحث فنكتفي بذكر أربعة أسماء ونبيِّن موجباتِها وآثارَها.

(٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢١/٧) برقم (٥٦٧٥)، ومسلم في صحيحه (١٧٢١/٤) برقم (٢١٩١).

(٤٨) انظر: تفسير الطبري (٦٢/١٥-٦٣)، والأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتعليق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ (٢١٩/١) برقم (١٥٤)، والمنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، زين محمد شحاتة، تقديم: عبد الرحمن المحمود، الناشر: دار بلنسية – الرياض، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٢هـ (ص٥٨٨-٥٩٩).

(٤٩) رواه أحمد في مسنده (٣٩/٢٩) برقم (١٧٤٩١). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٥٠) فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص١٩٥).

(٥١) انظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، زين محمد شحاتة (ص٥٠٦ و ٥٢٥).

(٥٢) انظر: ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الناشر: القسطاوي للطباعة والتجليد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ (ص٣٩٢).

(٥٣) فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص١٩٦).

(٥٤) رواه الترمذي في سننه (٢١٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٣).

(٥٥) فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص٢٨٦-٢٨٧).

(٥٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ (ص٩٤٦).

(٥٧) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (٤٤٤/١).

(٥٨) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ (ص١٠٠).

(٥٩) الكافية الشافية، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد العريفي، ناصر الحنيني وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم – الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ (٧٢٦/٣).

(٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٨/٨) برقم (٦٥٢٠)، ومسلم في صحيحه (٢١٥١/٤) برقم (٢٧٩٢).

(٦١) أي: (يميلها مِن يدٍ إلى يدٍ حتى تجتمع وتستوي؛ لأنها ليست منبسطةً كالرقاقة ونحوها). صحيح مسلم، برقم (٢٧٩٢).

(٦٢) انظر: تفسير الطبري (٣٧٧/١٠)، و(٣٠٤/٢٣).

(٦٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، الناشر: دار طيبة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ (٨٠/٨).

(٦٤) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: بسام الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ (ص٧٢).

(٦٥) فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص١١٣).

(٦٦) مدارج السالكين، لابن القيم (٣٠٨/٤-٣٠٩) و(٣١٢/٤).

(٦٧) هذه الأبيات من ديوان عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ذكرها ابن القيم في "المدارج"، وهو محدث حافظ فقيه أديب مؤرخ مفسر صوفي، ولد بدمشق عام ١٠٥٠هـ، وبها توفي عام ١١٤٣هـ.

(٦٨) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١٠٨٥/٢).

(٦٩) انظر: المصدر السابق (١٠٨٥/٢-١٠٨٨)، وفقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص٢٦-٢٨).

(٧٠) تفسير العثيمين: العنكبوت (ص٩).

(٧١) وجديرٌ بالذكر أن العلمَ باسمٍ معيَّنٍ أو صفةٍ معيَّنةٍ لا يثمر نوعًا واحدًا مِن أنواع العبودية؛ بل قد يثمر له أنواعًا مِن

العبوديات، ولذلك فإن الكلام في هذا الباب يطول وقد يبلغ مجلداتٍ لاستيفاء حقِّه.

(٧٢) شرح كلمة الإخلاص، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، شرح: عبد الرحمن بن ناصر البراك، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ (ص١٢٠).

(٧٣) فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص٣٣-٣٤).

(٧٤) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (ص٤٢٤-٤٢٥).

(٧٥) انظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، زين محمد شحاتة (ص٥٠٩).

(٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٣/٧) برقم (٥٦٨٤)، ومسلم في صحيحه (١٧٣٦/٤) برقم (٢٢١٧).

(٧٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥٦٦/٧).

فهرس المصادر والمراجع:

- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي — عمان، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، ١٩٨٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية - ١٤٢٠هـ
- التوحيد ومعرفة أسماء الله تعالى وصفاته على الاتفاق والتفرد، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٤١٣هـ.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، اعتنى به: أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- شرح كلمة الإخلاص، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، شرح: عبد الرحمن بن ناصر البراك، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ.
- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، ١٣٧٤هـ.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عطاءات العلم – الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ.
- الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعي – الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.
- فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: دار التوحيد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ.
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الرحمن العريفي، ناصر بن يحيى الحنيني، وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم – الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ.

- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مجموع رسائل ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: جـ ١، ٢/ الثانية، ١٤٢٤هـ - جـ ٣/ الأولى، ١٤٢٤هـ.
- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ)، قدم له: محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة دار البيان — دمشق، ١٣٩٨هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي — قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، زين محمد شحاتة، تقديم: عبد الرحمن المحمود، الناشر: دار بلنسية — الرياض، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٢هـ.
- الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي — جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.
- ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الناشر: القسطاوي للطباعة والتجليد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ